الفصل الثاني:

الدرس الأول

الاسْتِماعُ:

مَحطّاتٌ مِن سيرَةِ الحَبيبِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)

كانَ ميلادُ النَّبِيِّ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) نَبَأً عَظيماً، سَقَطَتْ لَهُ الأَصْنامُ عَلى وُجوهِها، وَاهْتَزَّ لَهُ إيوانُ كِسْرى، وَخَمَدَتْ له نارُ المَجوسِ، أَمّا إبْليسُ فَلَمْ يُرَ إلّا طَريداً مَلْعوناً في ذلِكَ اليَوْمِ. وَلَمّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ، وَضَعَتْ عَلَيْهِ إناءَ الطَّعامِ لِئَلّا يَراهُ أَحَدٌ قَبْلَ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ سَيِّدِ مَكَّةَ وَقُرَيْشٍ وَكَبيرِ قَوْمِهِ، وَلَمّا عَلِمَ عَبْدُ المُطَّلِبِ بِخَبَرِ الوِلادَةِ، جاءَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَ إناءَ الطَّعامِ قَدِ انْشَقَّ نِصْفَيْنِ، فَأَخَذَهُ جَدُّهُ إلى الكَعْبَةِ يدْعو لَهُ، وَهُوَ يَعْلمُ أنَّ لِهذا المَوْلودِ شَأْناً عَظيماً، مُعْتَمِداً عَلى ما قالَهُ أَهْلُ التَّوْراةِ وَالإِنْجيلِ، وَمَلِكُ اليَمَنِ سَيْفُ بْنُ ذي يَزَنَ، والشّاعِرُ أُمَيَّةُ بْنُ أَبي الصَّلْتِ، ناهيكَ من أُمِّهِ آمِنَةَ الّتي حَلَمَتْ وَهِيَ حامِلٌ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْها نورٌ أَضاءَ قُصورَ الشّامِ.

وَكانَتْ أُمُّهُ قَدْ أَرْضَعَتْهُ حيناً مِنَ الدَّهْرِ، وَلِأَنَّ العَرَبَ كانوا يُدْرِكونَ دَوْرَ اللَّبَنِ وَتَأْثيرَهُ عَلى الطِّفْلِ؛ أَرْسَلوهُ إلى بادِيَةِ بَني سَعْدٍ، حَيْثُ أَرْضَعَتْهُ حَليمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَهُناكَ تَرَعْرَعَ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) عَلى البَلاغَةِ وَالفَصاحَةِ وَحُسْنِ البَيانِ وَجَوْدَةِ التَّعْبيرِ، فَلَمْ يُعْرَفْ في التّاريخِ أَفْصَحُ مِنْهُ، فَكانَ إذا تَكَلَّمَ مَلأَ القُلوبَ بَهْجَةً وَإِقْناعاً وَبَياناً، لا يَتَلَعْثَمُ، وَلا يَنْطِقُ حَرْفاً خَطأً، وَلَا يُبْطِئُ في الكَلامِ، وَيُخْرِجُ الحُروفَ مِنْ مَخارِجِها، وَهذا كُلُّهُ بِتَوْفيقِ اللهِ الّذي أَرادَ لَهُ أَنْ يَكونَ نَبِيَّ آخِرِ الزَّمانِ.

وَبَعْدَ حادِثَةِ شَقِّ صَدْرِهِ عَلى يَدِ جِبريلَ (عَلَيْهِ السَّلامُ)، خافَتْ عَلَيْهِ مُرْضِعَتُهُ حَليمَةُ السَّعْدِيَّةُ مِنَ القَتْلِ والاغْتيالِ، وَخَوْفاً مِنْ تَحَمُّلِ مَسْؤُوليَّةِ التَّقْصيرِ أَمامَ أَهْلِهِ وَالعَرَبِ؛ قَرَّرَتْ أَنْ تُعيْدَهُ لِأُمِّهِ آمِنَةَ، فَجاءَتْ لَها، وَأَخْبَرَتْ جَدَّهُ عَبْدَ المُطَّلِبِ بِالحادِثَةِ، فَعَلَّقَ قائِلاً: «لا، إنَّ ابْني هذا مَحْفوظٌ، لا يَأْتيهِ بَأْسٌ».

وَكانَتْ فُصولُ مُعاناتِهِ مُمْتَدَّةً؛ لِيَبْلُغَ تِلْكَ المَرْتَبَةَ العَظيمَةَ مِنَ القُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَيَكونَ مُسْتَعِداً لِحَمْلِ رِسالَةِ الإِسْلامِ العَظيمِ، وَالنَّجاحِ في نَشْرِهِ، بِالرَّغْمِ مِنْ ضَراوَةِ الصُّعوباتِ الّتي واجَهَتْهُ.

مِنْ كِتابِ:(قِصَّةِ الرِّسالَةِ، د.عائِض القَرْني، بِتَصَرُّفٍ)

الدَّرْسُ الثّاني

الاسْتِماعُ:

ذاكِرَةُ الفِلَسْطينِيِّ

في الحَرْبِ العُدْوانِيَّةِ البَشِعَةِ الّتي يَشُنُّها العَدُوُّ الصِّهْيونِيُّ عَلى شَعْبِنا الفِلَسْطينِيِّ مُنْذُ ما يَزيدُ عَنْ مِئَةِ سَنَةٍ، تَتَعَرَّضُ الذّاكِرَةُ الفِلَسْطينِيَّةُ إِلى أَبْشَعِ فَصْلٍ في هذا العُدْوانِ المُمَنْهَجِ الّذي يَسْتَهْدِفُ مَحْوَ هذِهِ الذّاكِرَةِ، لاسْتِكْمالِ الرِّوايَةِ الصِّهْيونِيَّةِ الكاذِبَةِ القائِمَةِ عَلى تَزْييفِ التّاريخِ، وَانْتِهاكِ الجَغْرافْيا بِما فيها مِنْ آثارٍ سِياحِيَّةٍ وَمُقَدَّساتٍ.

الحَرْبُ الصِّهيونِيَّةُ عَلى الذّاكِرَةِ الفِلَسْطينِيَّةِ، تَأْتي في ضَوْءِ إِدْراكِ العَدُوِّ لِخُطورَةِ بَقاءِ هذِهِ الذّاكِرَةِ، وَإِصْرارِ الشَّعْبِ الفِلَسْطينِيِّ عَلى بَقائِها جيلاً بَعْدَ جيلٍ؛ لأَنَّها تُشَكِّلُ حِصْناً لِهذا الشَّعْبِ وَبوصَلَةً لا تُضِلُّ أَبَداً، وَجُزْءاً أَصيلاً مِنْ كِفاحِهِ، وَدَليلاً يَدْحَضُ افْتِراءاتِ الآخَرينَ عَلى عُروبَةِ فِلَسْطينَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ آلافِ عامٍ. وَمِمّا زادَ في كِبْريائِهِمْ وَصَلَفِهِمْ، أَنَّ دُوَلَ العالَمِ تَقِفُ داعِمَةً لِما يَعيثُهُ اليَهودُ في فِلَسطينَ مِنْ فَسادٍ.

نَرى الفِلَسْطينِيَّ في المَهْجَرِ والشَّتاتِ حَريصاً عَلى التَّمَسُّكِ بِهذِهِ الذّاكِرَةِ، فَهِيَ الوَجْهُ الآخَرُ لِلْهُوِيَّةِ الفِلَسْطينِيَّةِ، فَيَحْرِصُ عَلى بَقاءِ التُّراثِ الفِلَسْطينِيِّ مِنْ خِلالِ الأَناشيدِ الوَطَنِيَّةِ الثَّوْرِيَّةِ، وَالأَثْوابِ الفِلَسْطينِيَّةِ المُطَرَّزَةِ، وَمُجَسَّماتِ المَسْجِدِ الأَقْصى وَقُبَّةِ الصَّخْرَةِ الّتي تُجَسِّدُ تُراثاً حَضارِيّاً مُنْذُ مِئاتِ السِّنينَ.

كَما هُوَ حَريصٌ عَلى إِبْرازِ كُلِّ ذلِكَ في الأَعْيادِ الوَطَنِيَّةِ، وَالمُناسَباتِ الدّينِيَّةِ، حَيْثُ تَعْلو الكوفِيَّةُ الفِلَسْطينِيَّةُ - كوفِيَّةُ ثَوْرَةِ سَنَةِ ستٍّ وثَلاثينَ الكُبْرى- هاماتِ الجَميعِ رِجالاً وَنساءً؛ لِلتَّذْكيرِ بِأَنَّ هذا الشَّعْبَ بِالرَّغْمِ مِنْ ظُروفِ الشَّتاتِ وَمُعاناةِ التَّهْجيرِ، لَمْ يَنْسَ هُوِيَّتَهُ التّاريخِيَّةَ، وَلَنْ يَنْسى فِلَسطينَ الّتي تُزَيِّنُ خارِطَتُها صُدورَ مَنازِلِ المُغْتَرِبينَ، كَما تُصِرُّ المَرْأَةُ الفِلَسطينِيَّةُ أَنْ تَكونَ هذِهِ الخارِطَةُ، جُزْءاً عَزيزاً مِنْ حُلِيِّها، وَتُصِرُّ عَلى إِبْرازِها في المُناسَباتِ الاجْتِماعِيَّةِ.

وَفي هذا الصَّدَدِ، يُشادُ بِالمُؤَرِّخينَ الفِلَسْطينِيّينَ الّذينَ كَتَبوا عَنْ فِلَسْطينَ وَأَرَّخوا لِقَضِيَّتِها وَنِضالِ شَعْبِها خِلالَ الانْتِدابِ البِريطانِيِّ، وَمِنْ أَبْرَزِهِمْ، عارِفُ العارِفِ، وَمُصْطَفى الدَّباغ؛ إِذْ حَرَصَ هؤُلاءِ المُؤَرِّخونَ الأَفْذاذُ، عَلى فَضْحِ العُدْوانِ الصِّهْيونِيِّ وَدَحْضِ رِوايَتِهِ، وَعَلى كَشْفِ الدَّوْرِ البِريطانِيِّ، وَالأَمْريكِيِّ وَالفِرَنْسِيِّ في إِقامَةِ الكِيانِ الصِّهْيونِيِّ، عَلى أَرْضِ فِلَسْطينَ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ.

إِنَّ الحِفاظَ على الذّاكِرَةِ الفِلَسْطينِيَّةِ مَهَمَّةُ كُلِّ فِلَسْطينِيٍّ؛ لِتَأْكيدِ التّاريخِ، وَالهُوِيَّةِ، وَالحَقِّ، وَنَقْلِ الأَمانَةِ إِلى الأَجْيالِ القادِمَةِ؛ لِتَبْقى فِلَسْطينُ حَيَّةً في الذّاكِرَةِ لا تَموتُ، فالكِبارُ يَموتونَ، وَلكِنَّ الصِّغارَ يَكْبُرونَ وَيَحْفَظونَ وَلا يَنْسَوْنَ.

(صَحيفَةُ الدُّسْتورُ الأُرْدُنِيَّةُ، رشيد حسين، بِتَصَرُّفٍ.)

الدرس الثالث

الاسْتِماعُ

قَلْعَةُ الشُّقَيْفِ

رافَقْتُ جَدّي في زِيارَةٍ لِقَرْيَةِ المُطِلَّةِ الفِلَسْطينِيَّةِ عَلى الحُدودِ الشَّماليَّةِ، الَّتي تَرْبِطُ فِلَسْطينَ بِجِبالِ لُبْنانَ.

وَقَفْتُ أَجولُ بِبَصَري في أَرْجاءِ الطَّبيعَةِ الْخَلّابَةِ، أَتَأَمَّلُ سُهولَها الخَضْراءَ المُمْتَدّةَ، وَسَماءَها الصّافِيَةَ، وَأَثْناءَ ذلِكَ وَقَعَ بَصَري عَلى آثارِ قَلْعَةٍ تَرْبُضُ فَوْقَ قِمَّةِ الجَبَلِ، فَسَأَلْتُ جَدّي عَنْها، فَارْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامَةٌ، ثُمَّ قالَ: هذِهِ، يا بُنَيَّ، قَلْعَةُ الشُّقَيْفِ، أَقامَها الصَّليبِيّونَ، وَكانوا يُسَمّونَها قَلْعَةَ(بوفورْتَ).

كانَتْ هذِهِ القَلْعَةُ نَموذَجاً مُشَرِّفاً لِهَزيمَةِ جَيْشِ الاحْتِلالِ الصِّهْيونِيِّ، فَقَدْ عَدَّها الصَّهاينَةُ ماردا يُهَدِّدُ أَمْنَهُمْ؛ فَكَلَّفوا أَحَدَ أَلْوِيَةِ جَيْشِهِمْ تَنْفيذَ هُجومٍ عَلَيْها؛ لِلْقَضاءِ عَلى المُقاوَمَةِ الفِلَسْطينِيَّةِ في الجَنوبِ اللُّبْنانِيِّ.

في عامَ ١٩٨٢م قامَ اللِّواءُ الصِّهْيونِيُّ بِالهُجومِ عَلى القَلْعَةِ، وَأَمْطَرَها بِوابِلٍ مِنْ قَذائِفِهِ. وَحينَ تَقَدَّمَ جُنودُ اللِّواءِ نَحْوَ القَلْعَةِ ضَبَطَتْ المُقاوَمَةُ نَفْسَها حَتّى أَصْبَحَ الْعَدُوُّ عَلى بُعْدِ مِئَتَيْ مِتْرٍ مِنْها. فَبَدَأَتْ مِدْفَعِيَّةُ المُقاوَمَةِ تُمْطِرُ مَحاوِرَ تَحَرُّكِ الأَعْداءِ بِحِمَمِ قَذائِفِها، فَكَبَّدَتْها خَسائِرَ فادِحَةً؛ مِمّا اضْطُرَّ الجَيْشُ الصِّهْيونِيُّ لِلِانْسِحابِ دونَ أَنْ يُحَقِّقَ أَيَّ هَدَفٍ.

لَقَدْ ظَلَّتِ المُقاوَمَةُ، يا وَلَدي، تُطارِدُهُمْ، وَفَرَضَتْ عَلَيْهِمْ حِصاراً، فَجَعَلَتْهُمْ كَالفِئْرانِ داخِلَ المِصْيَدَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّهاينَةُ الإِفْلاتَ إِلّا بَعْدَ تَدَخُّلِ قُوّاتِهِمِ الجَوِّيَّةِ.

وَهَلِ اعْتَرَفَ العَدُوُّ الصِّهْيونِيُّ بِهَزيمَتِهِ، يا جَدّي؟

هَزيمَتُهُمْ، يا وَلَدي، واضِحَةٌ وُضوحَ الشَّمْسِ، لَقَدْ مَزَّقَ الرُّعْبُ قُلوبَهُمْ، وَأَوْقَعَهُمْ في شِباكِ الحَيْرَةِ، فَقَدْ كانوا يُواجِهونَ عَدُوّاً غَيْرَ مَرْئِيٍّ، اسْتَمِعْ لِما قالَهُ أَحَدُ ضُبّاطِهِمْ: لَقَدْ كُنّا نُقاتِلُ الجِنَّ، لَقَدْ قامَتْ طائِراتُنا بِقَصْفٍ مُكَثَّفٍ لِهذِهِ القَلْعَةِ، وكُنّا نَعْتَقِدُ أَنَّ أَطْنانَ القَنابِلِ الَّتي أُلْقِيَتْ عَلَيْها لَمْ تُدَمِّرْها فَقَطْ، وَإِنَّما مَسَحَتْها عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. وَلكِنْ حينَ اقْتَرَبْنا مِنْها اتَّضَحَ لَنا أَنَّها ما تَزالُ عَلى حالِها، وَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنَ المُقاتِلينَ بِأَذىً!

تَهَلَّلَ وَجْهي فَخْراً وَاعْتِزازاً بِهذا الصُّمودِ الأُسْطورِيِّ لِلفِدائِيّينَ الفِلَسْطينيّينَ الأُسودِ الَّذينَ مَرَّغوا أَنْفَ العَدُوِّ، وَجَرَّعوهُ مَرارَةَ الهَزيمَةِ، وَسَطَّروا بِبُطولاتِهِمْ أَرْوَعَ مَلاحِمِ النِّضالِ في وَجْهِ عَدُوٍّ مُدَجَّجٍ بِأَحْدَثِ الأَسْلِحَةِ.

الدَّرْسُ الرّابعُ

الاسْتِماعُ:

النَّباتاتُ آكِلَةُ الحَشَراتِ

إنَّ مِنْ آياتِ صُنْعِ اللهِ الدّالَّةِ عَلى قُدْرَتِهِ(سُبْحانَهُ وَتَعالى)، وَبَديعِ خَلْقِهِ النَّباتاتِ آكِلَةَ الحَشَراتِ، فَهذِهِ النَّباتاتُ تَنْمو في أَرْضٍ فَقيرَةٍ بِالمَوادِّ العُضْوِيَّةِ، فَلِذلِكَ نَراها قَدْ زُوِّدَتْ بِما يُمَكِّنُها مِنَ اقْتِناصِ الحَشَراتِ، وَامْتِصاصِ أَجْسامِها. وَمِنْ العَجَبِ أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْها يَتَحَوَّرُ بِما يُلائِمُ طَبيعَةَ غِذائِهِ تَحَوُّراً يُدْهِشُ المُتَأَمِّلَ.

وَتُعْرَفُ النَّباتاتُ الصّائِدَةُ لِلحَشَراتِ عِلْمِيّاً بِاسْمِ النَّباتاتِ اللّاحِمَةِ أَوِ النَّباتاتِ آكِلَةِ اللحْمِ، وَتَقومُ هذِهِ النَّباتاتُ كَسائِرِ أَنْواعِ النَّباتِ بِالحُصولِ عَلى غِذائِها بِوَساطَةِ عَمَلِيَّةِ البِناءِ الضَّوْئِيِّ، إِلّا أَنَّها تَعْتَمِدُ عَلى اصْطِيادِ الحَشَراتِ في الحُصولِ عَلى بَعْضِ أَنْواعِ العَناصِرِ الغِذائِيَّةِ الّتي تَفْتَقِرُ إِلَيْها التُّرْبَةُ الّتي تَعيشُ فيها، وَأَهَمُّها النّيتْروجينُ.

هذِهِ النَّباتاتُ أَعْطاها اللهُ أَشْكالاً وَأَلْواناً زاهِيَةً تَجْذِبُ إِلَيْها الحَشَراتِ بِأَنْواعِها المُخْتَلِفَةِ، وَعِنْدَما تَظُنُّ الحَشَرَةُ وُجودَ غِذاءٍ داخِلَ أَوْراقِ هذا النَّباتِ، فَإِنَّها تَدْخُلُ بَيْنَ فَكَّيْهِ، وَلكِنْها سَرْعانَ ما تَلْتَصِقُ وَيُطْبِقُ عَلَيْها النَّباتُ، وَيَنْتَظِرُ الحَشَرَةَ حَتّى تَموتَ، ثُمَّ يَبْدَأُ يَهْضِمُها، وَيَتَخَلَّصُ مِنَ النِّفاياتِ الّتي لا تُهْضَمُ.

وَمِنْ هذِهِ النَّباتاتِ المُفْتَرِسَةِ نَباتُ خَنّاقِ الذُّبابِ، وَنَدى الشَّمْسِ، وَنَباتُ القِدْرِ أَوِ الجَرَّةِ، الّذي يُعْرَفُ بِنَباتِ السَّلْوى، وَقَدْ حَبا اللهُ هذا النَّباتَ خَصائِصَ جَذّابَةً أَهَّلَتْهُ لِيَكونَ صَيّاداً ماهِراً لِلحَشَراتِ وَالطُّيورِ وَالزَّواحِفِ؛ فَأَوْراقُهُ تَتَحَوَّرُ إِلى شَكْلِ جَرَّةٍ أَوْ قِدْرٍ لَهُ غِطاءٌ، عُمْقُهُ ثَلاثونَ سَنْتيمِتْراً، وَعُرْضُهُ اثْنا عَشَرَ سَنْتيمِتْراً، وَلَهُ أَلْوانٌ زاهِيَةٌ وَرائِحَةٌ زَكِيَّةٌ، وَبِداخِلِهِ سائِلٌ. وَقِمَّةُ زَهْرَةِ نَباتِ القِدْرِ مُتَدَحْرِجَةٌ إِلى الدّاخِلِ لِتَسْمَحَ بِمُرورِ الفَريسَةِ، وَتَحولَ دُوْنَ خُروجِها، وَالجُدُرُ الدّاخِلِيَّةُ مُغَطّاةٌ بِزَوائِدَ وَحَراشِفَ شَمْعِيَّةٍ المَلْمَسِ، وَبَعْضُ الزَّوائِدِ تَتَدَلّى لِلدّاخِلِ كَالحِبالِ الهابِطَةِ إِلى الوادي مِنْ أَعْلى الجَبَلِ، وَفي قاعِ القِدْرِ بَعْضُ الماءِ المُتَجَمِعِ مِنْ إِفْرازاتِ الوَرَقَةِ وَماءِ المَطَرِ، وَيَخْتَلِطُ هَذا الماءُ بِالإِنْزيماتِ الهاضِمَةِ لِلبروتينِ، وَالكاوِيَةِ لِلْفَريسَةِ الّتي تُفْرِزُها مَجْموعَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الغُدَدِ الدّاخِلِيَّةِ، وَبَعْدَ سُقوطِ الفَريسَةِ في السّائِلِ، يَنْغَلِقُ الغِطاءُ عَلَيْها، وَتَبْدَأُ عَمَلِيَّةُ القَتْلِ وَالهَضْمِ وَالامْتِصاصِ وَالتَّمْثيلِ الغِذّائي لِلفَريسَةِ. فَسُبْحانَ الخالِقِ المُبْدِعِ الّذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى.

(مِنْ عَجائِبِ الخَلْقِ في عالَمِ النَّباتِ، بِتَصَرُّفٍ)

الدَّرْسُ الخامِسُ

الاسْتِماعُ:

عَمْرُو بْنُ الجَموحِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

عَمْرُو بنُ الجَموحِ زَعيمٌ مِنْ زُعَماءِ يَثْرِبَ في الجاهِلِيَّةِ، وَسَيِّدُ بَني سَلَمَةَ ، وَواحِدٌ مِنْ أَجْوادِ المَدينَةِ، وَذَوي المُروءاتِ فيها.

بَعْدَ أَنْ دَخَلَ في دينِ اللهِ، وَتَذَوَّقَ حَلاوَةَ الإيمانِ، عَضَّ أَصابِعَهُ نَدَماً عَلى كُلِّ لَحْظَةٍ قَضاها في الشِّرْكِ، وَوَهَبَ حَياتَهُ لِلّهِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مَفْطورٌ عَلى الجودِ وَالكَرَمِ، إِلّا أَنَّ الإِسْلامَ زادَ مِنْ جودِهِ وَعَطائِهِ في خِدْمَةِ الدّينِ وَالأَصْحابِ. أَرادَ عَمْرُو بنُ الجَموحِ أَنْ يَجودَ بِروحِهِ في سَبيلِ اللهِ، وَلكِنْ كَيْفَ ذلِكَ وَفي ساقِهِ عَرَجٌ شَديدٌ؛ يَجْعَلُهُ غَيْرَ قادِرٍ عَلى الاشْتِراكِ في الجِهادِ؟

حاوَلَ عَمْرُو بْنُ الجَموحِ الخُروجَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، فَتَوَسَّلَ أَبْناؤُهُ لِلرَّسولِ الكَريمِ كَيْ يُقْنِعَهُ بِعَدَمِ الخُروجِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ الرَّسولُ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ مُعْفًى مِنَ الجِهادِ لِعَجْزِهِ الماثِلِ في عَرَجِهِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ إِلْحاحِهِ وَرَجائِهِ، أَمَرَهُ الرَّسولُ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالبَقاءِ في المَدينَةِ.

قُبَيْلَ مَوْقِعَةِ أُحُدٍ رَأى عَمْرُو بنُ الجَموحِ أَبْناءَهُ الثَّلاثَةَ يَتَجَهَّزونَ لِلِقاءِ العَدُوِّ، وَنَظَرَ إِلَيْهِم غادينَ رائِحينَ كَالأُسودِ ، وَهُمْ يَطيرونَ شَوْقاً إِلى نَيْلِ الشَّهادَةِ، فَأَثارَ هذا المَوْقِفُ حَمِيَّتَهُ، وَعَزَمَ عَلى أَنْ يَغْدُوَ مَعَهُمْ إِلى الجِهادِ تَحْتَ رايَةِ رَسولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لكِنَّ الفِتْيَةَ أَجْمَعوا عَلى مَنْعِ أَبيهِمْ مِمّا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَقَدْ عَذَرَهُ اللهُ فيمَنْ عَذَرَهُمْ، فَقالوا لَهُ: يا أَبانا، إِنَّ اللهَ قَدْ عَذَرَكَ، فَعَلامَ تُكَلِّفُ نَفْسَكَ مِمَّا أَعْفاكَ اللهُ مِنْهُ؟ فَغَضِبَ الشَّيْخُ مِنْ قَوْلِهِمْ أَشَدَّ الغَضَبِ، وَانْطَلَقَ إِلى النَّبِيِّ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَشْكوهُمْ. قالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ أَبْنائِيَ هؤُلاءِ يُريدونَ أَنْ يَحْبِسوني عَنْ هذا الخَيْرِ، وَهُمْ يَتَذَرَّعونَ بِأَنّي أَعْرَجُ، وَاللهِ إِنّي لَأَرْجو أَنْ أَطَأَ الجَنَّةَ بِعَرْجَتي هذِهِ، فَقالَ(عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ):» دَعوهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشَّهادَةَ»، فَخَلّوا عَنْهُ إِذْعاناً لِأَمْرِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) .

وَما إِنْ أَزِفَ وَقْتُ الخُروجِ حَتّى وَدَّعَ عَمْرُو بنُ الجَموحِ أَهْلَهُ وَداعَ مُفارِقٍ لا يَعودُ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلى القِبْلَةِ، وَرَفَعَ كَفَّيْهِ إِلى السَّماءِ، وَقالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْني الشَّهادَةَ، وَلا تَرُدَّني إِلى أَهْلي خائِباً. ثُمَّ انْطَلَقَ يُحيطُ بِهِ أَبْناؤُهُ الثَّلاثَةُ وَجُموعٌ كَثيرَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَمّا حَمِيَ وَطيسُ المَعْرَكَةِ، وَتَفَرَّقَ النّاسُ عَنْ رَسولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) شُوهِدَ عَمْرُو بنُ الجَموحِ يَمْضي في الرَّعيلِ الأَوَّلِ، وَيَثِبُ عَلى رِجْلِهِ الصَّحيحَةِ وَثْباً، وَهُوَ يَقولُ: إِنّي لَمُشْتاقٌ إِلى الجَنَّةِ، إِنّي لَمُشْتاقٌ إِلى الجَنَّةِ، وَكانَ وَراءَهُ ابْنُهُ خَلّادٌ، وَما زالَ الشَّيْخُ وَابْنُهُ يُجالِدانِ وَيَذودانِ عَنْ رَسولِ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتّى ارْتَقَيا شَهيدَيْنِ عَلى أَرْضِ المَعْرَكَةِ، لَيْسَ بَيْنَ الابْنِ وَأَبيهِ إِلّا لَحَظاتٌ. وَما إِنْ وَضَعَتِ المَعْرَكَةُ أَوْزارَها حَتّى قامَ رَسولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إِلى شُهَداءِ أُحُدٍ؛ لِيُوارِيَهُمْ التُرابَ، فَقالَ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) لِأَصْحابِهِ: «خَلّوهُمْ بِدِمائِهِمْ وَجِراحِهِمْ، فَأَنا الشَّهيدُ عَلَيْهِمْ».

(صُوَرٌ مِنْ حَياةِ الصَّحابَةِ- عَبْدُ الرَّحْمنِ رَأْفَت الباشا – بِتَصَرُّفٍ)

الدَّرْسُ السّادِسُ

الاسْتِماعُ:

قِصَّةُ اخْتِراعِ قَلَمِ الحِبْرِ الجافِّ

تَعودُ بِدايَةُ قِصَّةِ اخْتِراعِ قَلَمِ الحِبْرِ الجافِّ إِلى المُخْتَرِعِ الأَمْريْكِيِّ (جونلاود)، إِذْ ابْتَكَرَهُ لِيَكْتُبَ عَلى الجُلودِ المَدْبوغَةِ في الثّمانينِيّاتِ مِنَ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ، وَكانَ القَلَمُ آنَذاكَ ذا رَأْسٍ كُرَوِيٍّ مُدَبَّبٍ، يُثَبَّتُ في تَجْويفٍ يُساعِدُهُ عَلى الدَّوَرانِ حَتّى يَسيلَ الحِبْرُ مِنْه، ولكِنْ كانَ لِهذِهِ الطَّريقَةِ عَيْبٌ يَتَمَثَّلُ في سَيَلانِ الحِبْرِ بِطَريقَةٍ غَيْرِ مُنتَظَمَةٍ، مُسَبِّباً حالَةً مِنَ الفَوْضى عِنْدَ الكِتابَةِ عَلى الوَرَقِ.

وَلَكِنَّ القِصَّةَ الحَقيقِيَّةَ لاخْتِراعِ قَلَمِ الحِبْرِ الجافِّ تَعودُ لِلصَّحَفِيِّ الهَنغارِيِّ(جوزيف بيرو)، حينَ لاحَظَ خِلالَ عَمَلِهِ في المِطْبَعَةِ، أَنَّ الحِبْرَ يَجِفُّ بِسُرعَةٍ بَعْدَ خُروجِهِ مِنْ آلاتِ الطِّباعَةِ، مِنْ هُنا وُلِدَتْ فِكْرَةُ اسْتِخْدامِ حِبْرِ الطِّباعَةِ في قَلَمِ الحِبْرِ التَّقْليدِيِّ، وَلكِنَّ التَّجْرِبَةَ لَمْ تَنجَحْ؛ لأَنَّ حِبْرَ الطِّباعَةِ لَمْ يَكُنْ يُصَبُّ في رَأْسِ القَلَمِ، إِضافَةً إِلى عُيوبٍ أُخْرى مِنْها: اسْتِخْدامُ نِظامِ التَّعْبِئَةِ التَّقْليدِيَّةِ، أو قَلَمِ الرّيشَةِ إِذْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْمِسَ الريشَةَ ثُمَّ يُخْرِجُها.

اسْتَعانَ (بيرو) بِشَقيقِهِ الصَّيْدَلانِيِّ (جورج) في تَطْويرِ اخْتِراعِهِ، عَنْ طَريقِ تَطْويرِ رَأْسِ قَلَمٍ جَديدٍ يَشْتَمِلُ عَلى كُرَةٍ حُرَّةِ الحَرَكَةِ، تُغلَقُ وَتُفتَحُ لِتَسْمَحَ بِتَمْريرِ الحِبْرِ حَوْلَها إِلى المَنْفَذِ، وكُلَّما تَحَرَّكَ القَلَمُ دارَتِ الكُرَةُ لِتُساعِدَ الرَّأْسَ في تَمريرِ الحِبْرِ إِلى أَسْفَلَ بانْسِيابٍ مُتَوازِنٍ.

تَطَوَّرَ اخْتِراعُ قَلَمِ الحِبْرِ الجافِّ عَلى يَدِ الأَخَوَيْنِ (بيرو، وجورج) في (تشيلي)، وَقاما بِإِنْشاءِ أَوَّلِ مَصْنَعٍ لأَقْلامِ الحِبْرِ الجافِّ في العالَمِ، وَأُعْلِنَ عَنِ القَلَمِ الجَديدِ في البِدايَةِ عَلى أَنَّهُ القَلَمُ الَّذي يَكْتُبُ حَتّى تَحْتَ الماءِ، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ صِناعَةُ أَقْلامِ الحِبْرِ الجافِّ، وَصارَتْ تِجارَةً واسِعَةً تَضُمُّ أَشْكالاً وَأَلْواناً، وتَفاوَتَتْ أَسْعارُهَا وُصولاً لأَنْواعٍ باهِظَةِ الثَّمَنِ يَسْتَخْدِمُها رِجالُ الأَعْمالِ وَالأَثْرِياءُ، حَتّى إِنَّ بَعْضَ الأَقْلامِ صُنِعَتْ أَغْلِفَتُها مِنَ العاجِ أَوِ الذَّهَبِ أَوِ الماسِ أَوِ المَعادِنِ الثَّمينَةِ.

(العَرَبيّة نِتْ، بِتَصَرُّفٍ)

الدّرْسُ السّابِعُ

الاسْتِماعُ:

الدّينُ المُعامَلَةُ

يُحْكى أَنَّ رَجُلاً مِنَ الصّالِحينَ كانَ يَعْمَلُ في التِّجارَةِ، وَلَهُ مَحَلٌّ، وَكانَ يوصي عُمّالَهُ في المَحَلِّ أنْ يَكْشِفوا لِلنّاسِ عَنْ عُيوبِ بِضاعَتِهِ إِنْ وُجِدَتْ.
وَذاتَ يَوْمٍ جاءَ يَهودِيٌّ فَاشْتَرى ثَوْباً مَعيباً، وَلَمْ يَكُنْ صاحِبُ المَحَلِّ مَوْجوداً. فَقالَ العامِلُ: هذا يَهودِيٌّ لا يَهُمُّنا أَنْ نُطْلِعَهُ عَلى العَيْبِ.

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى حَضَرَ صاحِبُ المَحَلِّ، فَسَأَلَ عامِلَهُ عَنِ الثَّوْبِ، فَقالَ العامِلُ: بِعْتُهُ لِيَهودِيٍّ بِثَلاثِمِئَةِ دِرْهَمٍ. فَقالَ صاحِبُ المَحَلِّ: أَأَطْلَعْتَهُ عَلى العَيْبِ الّذي فيهِ؟ فَرَدَّ العامِلُ: لا، فَسَأَلَ صاحِبُ المَحَلِّ: وَأَيْنَ اليَهودِيُّ؟

فقال العامِلُ: لَقَدْ رَجَعَ مَعَ القافِلَةِ.

غَضِبَ صاحِبُ المَحَلِّ، وَأَخَذَ المالَ الّذي دَفَعَهُ اليَهودِيُّ، ثُمَّ خَرَجَ مُسْرِعاً؛ لِيَلْحَقَ بِهِ، فَتَبِعَ القافِلَةَ حَتّى أَدْرَكَها بَعْدَ مَسيرِ يَوْمٍ كامِلٍ. سَأَلَ التاجِرُ عَنِ اليَهودِيِّ، فَدَلّوهُ عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ: يا هذا، لَقَدِ اشْتَرَيْتَ ثَوْبَ كَذا وَكَذا، وَالثَّوْبُ بِهِ عَيْبٌ، وَعامِلي لَمْ يُطْلِعْكَ عَلَيْهِ، فَخُذْ دَراهِمَكَ وَهاتِ الثَّوْبَ. دُهِشَ اليَهودِيُّ مِمّا سَمِعَ، ثُمَّ قالَ: وَما حَمَلَكَ عَلى ما صَنَعْتَ؟ فَقالَ صاحِبُ المَحَلِّ: ديني الإِسْلامُ.

أَطْرَقَ اليَهودِيُّ قَليلاً ثُمَّ قالَ: أَوَ يَأْمُرُ دينُكُمْ بِهذا؟ قالَ صاحِبُ المَحَلِّ: نَعَم، يَقولُ رَسولُنا الكَريمُ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنّي»، فَقالَ اليَهودِيُّ: وَالدَّراهِمُ الّتي دفَعْتُها لَكُمْ مُزَيَّفَةٌ، فَخُذْ بِها ثَلاثَمِئَةٍ صَحيحَةً، وَأَزيدُكَ أَكْثَرَ مِنْ هذا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ.

(مَجَلَّةُ المُثَقَّفِ العَرَبِيّ)

الدَّرْسُ الثّامِنُ

الاسْتِماعُ:

أَدَبُ الفُكاهَةِ

أَدَبُ الفُكاهَةِ مِنَ الآدابِ الشّائِقَةِ وَالمُمْتِعَةِ، فَهُوَ نُزْهَةُ النَّفْسِ، وَرَبيعُ القَلْبِ، وَمَرْتَعُ السَّمْعِ، وَمَعْدِنُ السُّرورِ. وَالفُكاهَةُ تَعْني: المَيْلَ لِخِبْراتٍ مَعْرِفيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، بِغَرَضِ إِثارَةِ الضَّحِكِ وَالتَّسْلِيَةِ .

وَلا يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ العالَمَ دونَ فُكاهَةٍ، أَوْ نَتَصَوَّرَ الحَياةَ عابِسَةً مُكْفَهِرَّةَ الجَبينِ، إِنَّ الحَياةَ بِغَيْرِ ضَحِكٍ عِبْءٌ ثَقيلٌ لا يُحْتَمَلُ، وَكَما قالَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ: «رَوِّحوا القُلوبَ ساعَةً بَعْدَ ساعَةٍ، فَإِنَّ القُلوبَ إِذا كَلَّتْ عَمِيَتْ».

انْتَشَرَتِ الفُكاهَةُ عَلى مَرِّ العُصورِ، وَعَرَفَها العَرَبُ كَما عَرَفَتْها الأُمَمُ الأُخْرى، وَتَأَثَّروا بِحَياةِ الأُمَمِ الاجْتِماعِيَّةِ وَالثَقافِيَّةِ، وَالفُكاهَةُ لا تَهْدِفُ فَقَطْ إِلى إِضْحاكِ القارِئِ أَوِ المُسْتَمِعِ بَلْ تَحْمِلُ في حالاتٍ كَثيرَةٍ رِسالَةً نَقْدِيَّةً إِصْلاحِيَّةً، تَصْريحاً أَوْ تَلْميحاً.

وَمِنْ خَصائِصِ أَدَبِ الفُكاهَةِ الخِفَّةُ وَالظَّرافَةُ، وَالنَّقْدُ المُضْحِكُ، ويَغْلُبُ أَنْ يَكونَ الفُكاهِيُّ صاحِبَ ذَكاءٍ يَجْعَلُهُ يَبْحَثُ عَنِ الحيلَةِ، وَيَتَدَبَّرُ الخُطَطَ، وَيَنْسِجُ خُيوطَها، وَيَمْتازُ بِنَظَرِهِ الثّاقِبِ، وَبِمَوْهِبَتِهِ الأَصيلَةِ الّتي تُضْفي عَلَيْهِ خِفَّةً وَلُطْفاً، فَتَأْتي فُكاهَتُهُ لَبِقَةً غَيْرَ مُصْطَنَعَةٍ، تَفيضُ بِالعُذوبَةِ.وَقَدْ يَكونُ الفُكاهِيُّ مِنْ عامَّةِ النّاسِ ، وَمِنْ ذلِكَ: أَنَّ رَجُلاً أَعْوَرَ كانَ يَمْشي في السّوقِ، فَصَدَمَ امْرَأَةً دونَ قَصْدٍ، فَالتَفَتَتْ إِلَيْهِ، وَقالَتْ: أَعْمى اللهُ بَصَرَكَ، فَقالَ: يا سَيِّدَتي، اسْتَجابَ اللهُ نِصْفَ دُعائِكِ.

وَقَدْ ظَهَرَ في التُّراثِ العَرَبِيِّ كَثيرٌ مِنَ الشَّخْصِيّاتِ الفُكاهِيَّةِ، اشْتُهِرَ مِنْها أَشْعَبُ، وَأَبو دُلامَةَ بِسُخْرِيَّتِهِما وَنَوادِرِهِما الّتي صاغوها عَلى شَكْلِ حِكْمَةٍ أَوْ قِصَّةٍ أَوْ شِعْرٍ.

وَتَناوَلَ كَثيرٌ مِنْ أُدَباءِ العَرَبِ الفُكاهَةَ، فَتَرَكوا لَنا إِرْثاً تُباهي بِهِ المَكْتَبَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ، وَمِنْهُمْ: ابْنُ الجَوْزِيِّ في كِتابِهِ أَخْبارِ الحَمْقى وَالمُغَفَّلينَ، وَالجاحِظُ في كِتابِهِ البُخَلاءِ، وَمِنَ الطَّرائِفِ الّتي حَصَلَتْ مَعَهُ: أَنَّ امْرَأَةً قابَلَتْهُ في السّوقِ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَتْبَعَها إِلى مَحَلِّ صائِغٍ، فَلَما وَصَلا قالَتْ لِلصّائِغِ: طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تَنْقُشَ لي صورَةَ الشَّيْطانِ، فَقُلْتَ: لا أَعْرِفُهُ، فَجِئْتُكَ بِهذا الرَّجُلِ كَيْ تَنْقُشَ مِثْلَهُ.

(الفُكاهَةُ وَالهَزَلُ في الأَدَبِ العَرَبِيِّ، مُنير إبراهيم تايه)